

الدورة القرائية ٢٩

كتاب

محركات الأفكار

د. عبد الرحمن بن ناصر الريس

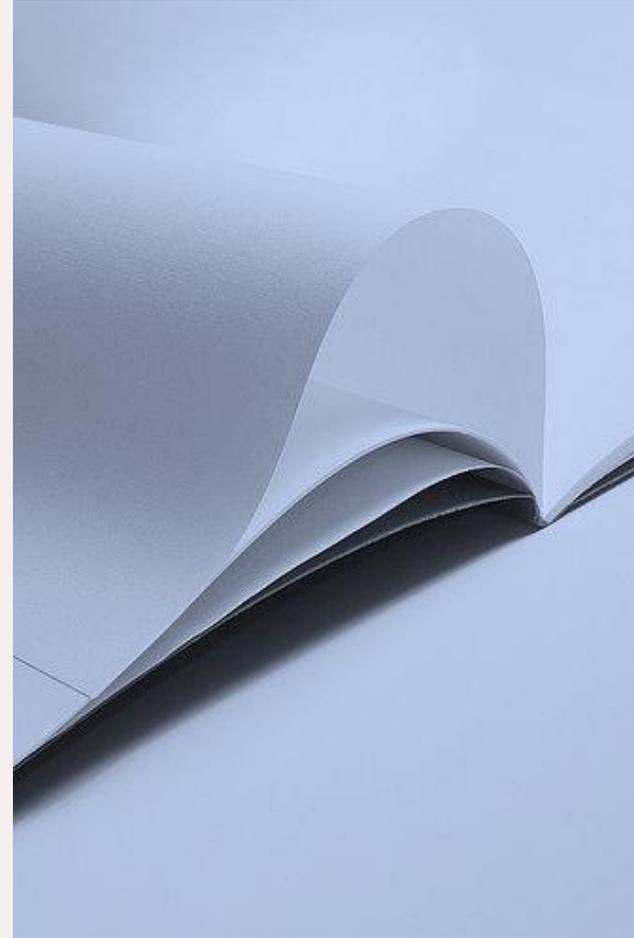
ملخص المقدمة

إعداد مركز رسيل للاستشارات التربوية والتعليمية

📖 @Katib_Kitab



<https://kkitab.com>



قبل ما يزيد عن عشر سنوات كانت الأجواء الفكرية في أوجها، وامتلاً الفضاء الفكري العربي بالخطابات الفكرية المتعددة والمتباينة، وبعد برهة من الزمن يتجلى للمرء أن بعضاً من تلك الأفكار أساسها ومنبعها أمرٌ أبعد من الفكرة ذاتها التي أخذت من الجهود العلمية والفكرية في الردود والمناقشة والحجة والبرهان، وإنما هناك دوافع ومحركات تقف خلف هذه الأفكار والآراء.

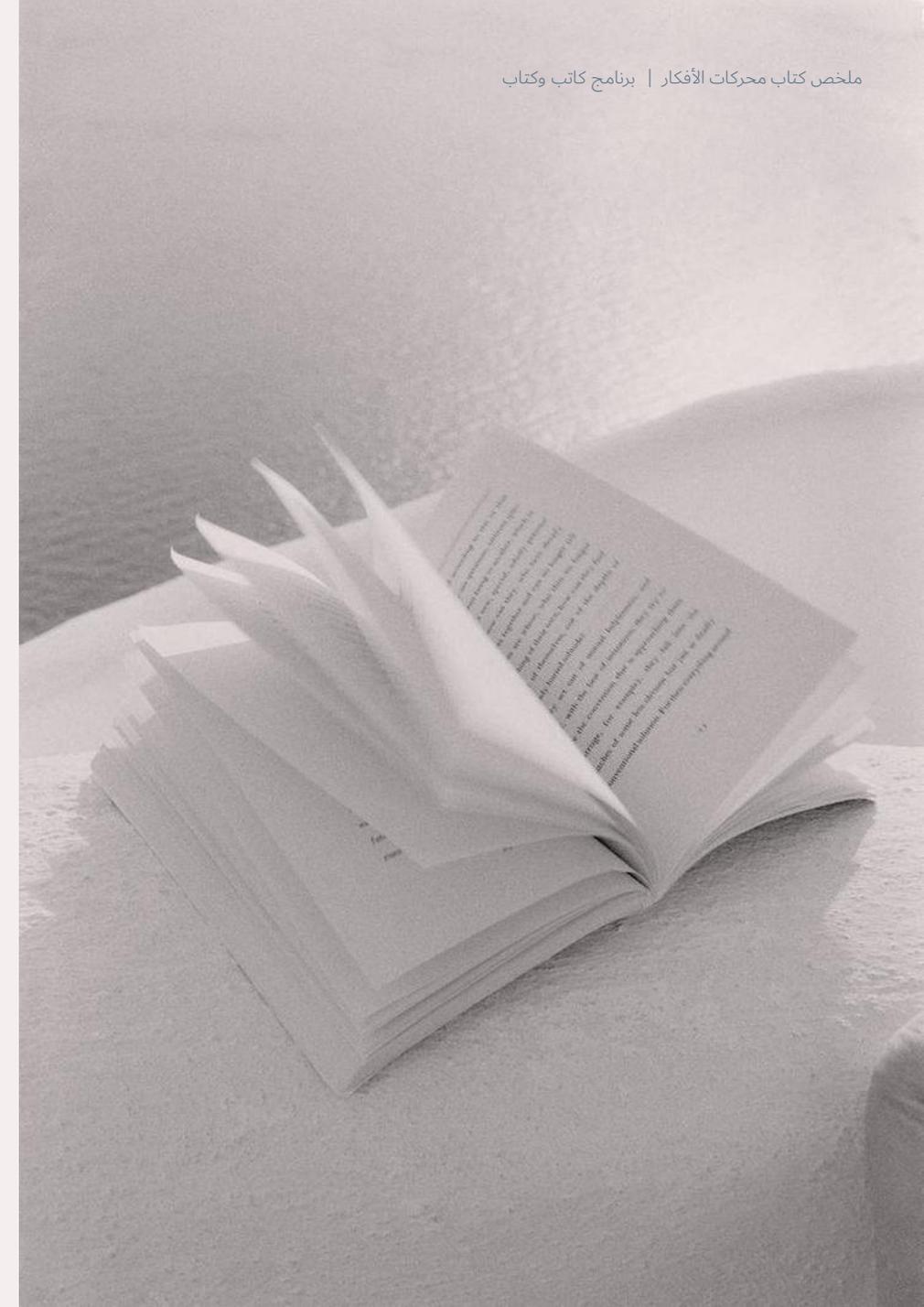
فمسألة (محركات الأفكار) من الأهمية بمكان في
هرم المنهجية العلمية لقارئ أفكار الاتجاهات
وآراء المذاهب والنحل، وهذا البحث تأصيل لهذه
الفكرة التي تبحث في القبليات والبواعث
والدوافع والمحركات التي تنشأ عنها الأفكار
والمواقف الفكرية.

المحركات النفسية

المحرك الأول: الهوى

المقصود من محرك الهوى

أن تكون الفكرة أساسها حاجةً في نفس المرء ودواخله؛ حيث تكون هذه الفكرة تشبع هذه الحاجة النفسانية فيه، وهذا المحرك هو أصل المحركات النفسية النابعة من الإنسان.



تأثير محرك الهوية في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

تتضح علاقة التأثير بين الهوية والحالة العلمية على الصعيد العام من ناحية، وعلى الصعيد الخاص للأفكار والمعتقدات الشخصية من ناحية أخرى، من خلال ما يلي:



أن لهوى النفس حضور في التركيب الإنساني لا ينفك عنه كل البشر، فإذا كان عدم انفكاكه عن المرء في ذاته فكيف بالشأن العام في الأفكار والمعتقدات، وارتباط هوى النفس في أدمية الإنسان من المعلوم في الخلق بالضرورة.

٢

محصول التجربة السجالية العلمية وتقرير أصحابها في أن الهوى له حضور في الأفكار وعموم الحالة العلمية، فالقارئ لما سطره ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي والشاطبي في ثنائية العلم والهوى يدرك مدى تأثير هذا المحرك وحضوره في المشهد العلمي.

٣

أن القارئ للسجلات العلمية في التراث الإسلامي بين الطوائف الحقّة من أهل السنة والجماعة وبين الطوائف المبتدعة يدرك أن للهوى حضورًا في تلك السجلات رغم أنها في إطار المسائل العقديّة والمنهجية والقضايا الفكرية، حيث إن عبارة (أهل الأهواء) منتشرة في كتب العقيدة انتشارًا واسعًا وذلك لقوة تأثير المحرك في الحالة العلمية.

٤

امتحان أهل العقول والأفهام بدواعي الأهواء وتأثيرها، حيث جعلوا من هوى أنفسهم عدوًا لدودًا في هذا المضمار العقلي، وجعلوا من الهوى لصاحبه كأنهما على فرسي رهان في مطاوعة أحدهما للآخر وتأثيره فيه وتطويع سجايه عليه.

ومن شواهد محرك (الهوى) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما وقع من خلاف في مسألة أصولية تخص علم الحديث وهي مسألة (الاحتجاج بخبر الآحاد) وما وضعه العلماء من شروط للاحتجاج به، فعدم قبول خبر الآحاد في مسائل التشريع والأحكام ليس بذاته من قبيل الهوى وإنما الغرض منه، ويحصل ذلك حين لا يكون هناك اطراد في الأخذ بالقول الأصولي في عدم اعتبار خبر الواحد في الفروع والأحكام والعقائد.

الاعتبار الشرعي لمحرك الهوى

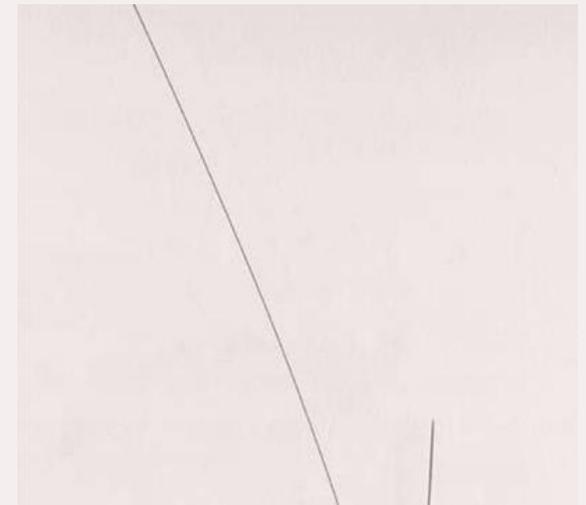
اعتبرت الشريعة الهوى محرّجًا للمرء في الجانب العقدي والفكري فيما يلي:

١

الوصف الشرعي لبعض الآراء العقدية بالأهواء، كما بين سبحانه وتعالى في وصف اليهود والنصارى لعقائدهم أنها أهواء، قال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} (البقرة: ١٢٠).

٢

التحذير الشرعي المتكرر في السياقات العلمية والعقدية من اتباع المرء هواه، قال تعالى: {فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير} (الشورى: ١٥).

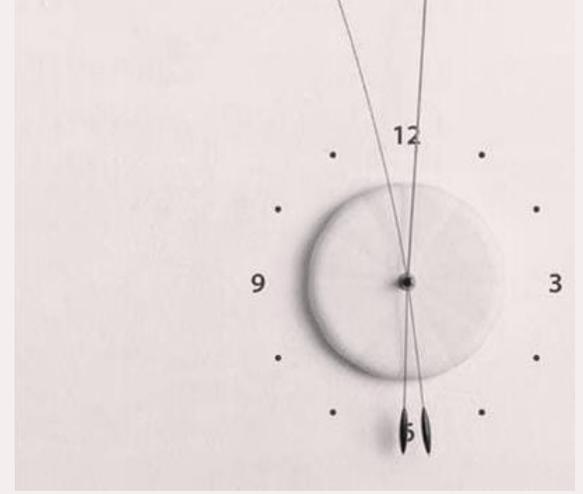


٣

جعل الشريعة الهوى أمام الحق في المقارنة والتأثير، حيث بينت الآيات أن أناسًا يردون الحق تلبيةً لأهوائهم، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى بحق رسوله -صلى الله عليه وسلم- في سياق تصديقه وبيان فضله على الأمة والبشر، قال تعالى: {والنجم إذا هوى (١) ما ضلّ صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)} {النجم: ١-٤}.

٤

اعتبار الشريعة للهوى كونه صنمًا يُعبد من دون الله عز وجل، ففي المعاني المصاحبة لتنصيب الصنم من الاستعباد وطقوس العبودية؛ تكريس ذهني لسطوة الهوى على العقل وقوة تأثيره، قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه {الجاثية: ٢٣}.



المحركات النفسية

المحرك الثاني: الكبر والحسد



أولاً: الكبر

المقصود من (محرك الكبر) هو:

العظمة والزهو والعلو البشري الذي يدفع الإنسان إلى القناعة بالفكرة أو الفكرة المضادة، إذ إن بعضاً ممن رفض الأفكار واستنكرها هو في حقيقته كِبْرٌ استقر في دواخله فأنتج هذا الرأي المخالف المعاند.

تأثير داء الكبر في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي

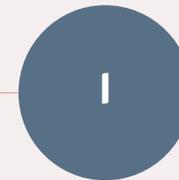
ويمكن بيان ذلك
فيما يلي:



الاضطراب والتخبط النفسي للمستكبر، وذلك لأن المستكبر يكون في حال أقرب إلى الداء النفسي منه إلى الحال الطبيعي، فيتم التعامل معه في الأجواء العلمية على هذا الأساس.



النظرة الفوقية للأفكار التي تفضي إلى تجاهلها وتصاغرهما، حيث تُحرم عقلية المستكبر من صحة النظر في الأفكار وفحصها، ويحرم من الاستنباط والمثاقفة، فيكون بذلك النقص والانكفاء على ذاته.



أن الحالة القلبية للمستكبر لا يستقيم أمرها مع الحال والشأن الفكري والعلمي والموضوعي، فالمستكبر محروم من ثمرة العلم.



ثانيًا: الحسد

المقصود من (محرك الحسد) هو:

تولد الأفكار الناجمة عن تمني زوال ما امتلكه الآخر من النعمة والتفضل، بأن تكون الفكرة في أساسها ومنبع انطلاقتها هو شعور الحاسد تجاه من أمامه أو من هو المراد من هذه الفكرة.

تأثير داء الحسد على الفكر والعقل على الصعيد الشخصي للمرء وعلى صعيد الفضاء الفكري العام:

عقوبات الحاسد وحسراته
ومآلات أمره لا تقوم معها
قائمة علمية، ومن أبرزها
مقت الله عز وجل له ومقت
الناس من حوله.

انتزاع أخلاقيات المثاقفة
والتعلم وغياب أخلاق أهل
العلم.

انحراف بوصلة الحاسد من
المسألة العلمية إلى
الشخص والشيء المحسود.



من شواهد محرك (الكبر والحسد) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

كل الشواهد والنماذج -على صعيد التاريخ الإنساني والإسلامي- تأتي بعد رمزية التكبر والكبر والحسد وأصل الضلال في الإنسانية جميعًا (كبر وحسد إبليس)، ومنه استكبار مشركي قريش على دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغلب صور الضلال والزيغ أصلها يعود إلى الاستكبار في النفوس والعقول، ومن الواقع الثقافي المعاصر في العالم العربي نجد الاستكبار والنرجسية الفكرية التي تدفع بصاحبها إلى قناعات وآراء ناتجة عن الاستعلاء المعرفي.

الاعتبار الشرعي لمحرك الكبر والحسد

أولاً: الكبر

١

جعلت الشريعة (الكبر) مقابل (الإيمان) إقراراً منها أن من كان محركه الكبر لا يمكن أن يستقر الإيمان في قلبه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (الكبر بطن الحق، وغمط الناس).

٢

إقرار الشرع بأن آفة الكبر منشأ لبعض الأفكار والمواقف تجاه الحق، وقد بين الشارع الحكيم أن الموقف الصحيح من المستكبر حرمانه من أدلة الحق، قال تعالى: {ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون} [الأنفال: ٢٣].

٣

تكريس الخطاب القرآني أن الكبر هو محرك الضلال ابتداءً من نموذج (إبليس) حتى كفار قريش مروراً بقوم نوح وهود وشمود.

الاعتبار الشرعي لمحرك الكبر والحسد

ثانيًا: الحسد

ما من نبي أُرسِل لقومه ووجدهم في حال رفض وممانعة بحضور حسدٍ إلا أبان الله من فوق سبع سماوات حقيقة محرّكهم وأساس ضلالهم وأصل امتناعهم عن قبول الحق.

ويتضح هذا الحضور فيما يلي:

١

التصريح المباشر في بعض المعارضات العقائدية والفكرية أن محرکها: الحسد، من ذلك قول الله تعالى بحق أهل الكتاب: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} {البقرة: ١٠٥}.

٢

منزلة خطورة داء الحسد في الشريعة، فقد خص الحسد بالتحريم تارةً وبالتغليظ تارةً أخرى، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)} {الفلق: ١-٥}.

ولذلك حرصت الشريعة على تحريم الحسد وتحريم أي شيء يدفع إليه أو أن يفسر فعلٌ بذلك، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، ولا يسوم على سوم أخيه، ولا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفى صفحتها ولتنكح، فإنما لها ما كتب الله لها).

٣

شناعة الحسد أن جعلته الشريعة نموذجًا لسبب الضلال اليهودي، قال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ
النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
عَظِيمًا} (النساء: ٥٤).

٤

لزوم داء الحسد في تكوين الشخصية المنافقة بوصف الشريعة الإسلامية، ومن ذلك قول
الله تعالى في وصف المنافقين المتخلفين عن الخروج مع النبي -صلى الله عليه وسلم-
في غزواته أمام المشركين: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} (النساء: ٧٢-٧٣).

المحرك الثالث

العواطف والمشاعر

المقصود من محرك العواطف والمشاعر

أن يكون أساس انبثاق الأفكار المطروحة هو الإحساس الشخصي للمرء المبني على ما انغرس فيه من السجية والجملة، وليس انبثاقًا ناتجًا عن عمل عقلي أو حجابي.



تأثير العواطف والمشاعر في الأفكار والفضاء الثقافي:

الانفكاك من المشاعر
والتنصل منها أمرٌ يصعب
على المرء النجاح فيه،
فالمشاعر جزء لا يتجزأ من
إنسانية البشر وطبيعة
خلقه.

الواقع العملي والحاضر
والماضي التاريخي يثبت
تأثير المشاعر والطباع في
الأفكار والمعتقدات.

اعتماد بعض المعتقدات
والأفكار على أساس
مشاعري وعاطفي،
فالمشاعر والأحاسيس
تمدها بالاستمرارية
والمكوث في العقول
والأفئدة.

شواهد محرك (العواطف والمشاعر) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

من الشواهد في التاريخ الإنساني والإسلامي؛ نموذج الخطاب الشيعي، فهذا الخطاب يعتمد في نشر التشيع على العاطفة وخطاب المظلومية الدائم لتجاوز كل ما يقف في طريقه من مرويات مكذوبة على الصعيد العلمي والتاريخي من جهة، ومن واقعية المعتقد على الصعيد العقلي من جهة أخرى.

الاعتبار الشرعي لمحرك العواطف والمشاعر

اهتمام الشريعة ابتداءً بمشاعر الإنسان من حيث
اعتبارها في الأحكام الفقهية التفصيلية، ويمكن بيان
ذلك فيما يلي:

الأحكام الشرعية التي راعت المشاعر الإنسانية ومن ذلك:

- استحباب التعزية لأهل الميت لتسليتهم.
- شرع للمطلقة غير المدخول بها نصف المهر، تطيبًا لخاطرها.
- إباحة الهجر لأموال الدنيا فيما دون ثلاثة أيام، تلبيةً لرغبة النفس في البعد والهجر.
- عموم الأحكام الشرعية المباحة، فكل دائرة المباح هي في مجملها مراعاة لطبيعة الإنسان ولاحياجاته في الحياة.
- عموم الأخلاق الإسلامية المبنية على مراعاة المشاعر، كتوقير الكبير، وتعظيم شأن الوالدين، والرحمة على الضعيف، وغيرها.
- التعامل الشرعي والأحكام المتعلقة بالمسلم الجديد، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة لولا أن قومك حديث عهدهم بجاهلية؛ فأخاف أن تنكر قلوبهم...).
- النصوص الشرعية في عدم ضياع الأجر، مراعاةً للحالة البشرية في التأكيد على المحصول من العمل الشرعي، فيجد المتعبد محرك الصبر على الطاعة على قدر حضور اليقين بموعود الله في نيل الأجر والثواب.

٢

أولت الشريعة الشعور المستمد من الطبائع؛ حيث جعلته محلاً للاختبار والامتحان، ومدار الأفعال التعبدية، حيث جعل الطبع محل اجتياز في غلبة الصواب عليه.

٣

اعتبار الشريعة الطباع والمشاعر من حيث الاستدلال وضرب الأمثلة المتعلقة فيهما، ففي قوله تعالى في تحريم الغيبة: {أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} (الحجرات: ١٢) قياسٌ للغيبة على أكل لحم الميت لنفور المشاعر منه.

ع

تضافر المقاصد الشرعية في التشريعات والأحكام
لاعتبار الطباع الإنسانية كتنوع العبادات وتفاوت
الأجور المترتبة على الأعمال لملائمة طبع الإنسان.

و

المواساة الربانية لرسله المنكوبين من أقوامهم،
فهذه المساندة الربانية الصريحة في القرآن للأنبياء
كانت أعظم دلالة على مراعاة طبائع الناس وشعور
الإنسان تجاه الأفكار والمواقف.

٦

الاعتبار الشرعي للارتياح النفسي والبعد عن مصادر القلق، وليس الاعتبار أن تكون المشاعر والأحاسيس هي الحكم في الحق والباطل، وإنما اعتبرتها الشريعة من قبيل إيقاظ الوازع النفسي والضمير الداخلي للمسلم حال ذنبه أو حال شكه في حقيقة الأمر، قال صلى الله عليه وسلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة).

٧

المنهج الشرعي في استثارة المشاعر والعواطف تجاه القضايا العقدية، فالمتأمل في آيات الترغيب والترهيب يجد أنها تهدف إلى استثارة المشاعر لتكون محفزات للطاعات.

المحرك الرابع

الفتور والكسل

المقصود من محرك الفتور والكسل:

هو أن يقتنع المرء بالفكرة أو تتولد لديه فكرة مضادة لها، وأساس ذلك كسل ذهنه أو قواه النفسية أو الجسدية في البحث في صحة أو فساد هذه الفكرة، وقد يركن إليها ليس لصوابها بل لأنها لا تتطلب جهدًا وبذلاً.



تأثير محرك الكسل والفتور في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

من المعلوم بالضرورة أن الكسل عن طلب
الشيء تقصير في نواله، فلم تنل الأفكار
الطامحة بالكسل.

٢

أن الكسل والفتور أحد أهم أسباب تعطيل
الفكر والنظر، وتشوه المنتج الثقافي والفكري.

٣

أن الكسل يصيب كل البشر، وذلك من
إنسانيتهم أن ينالهم شيء منه.

٢

ثنائية القول والعمل في الفضاء الفكري
والعلمي، فالكسل العملي يورث السيلا
القول والجدلي.

٥

واقعية تأثير الكسل البشري على الحركة العلمية، فالتاريخ يثبت أن هناك حقبًا كان الكسل حاضرًا في علومها ومؤثرًا على أصحابها.

U

التحذير العلمي من وضع العلل العقلية والمعرفية الموصلة للكسل السلوكي، حيث حذر أهل العلم أن البعض يضع العلل العلمية للتنصل من العمل التعبدية أو المقتضى من هذه العلة.

٦

واقعية تأثير الكسل على الأفكار والمعتقدات، من ناحية صياغة المفاهيم الفكرية في العقلية الشرعية خصوصًا وفي العقلية البشرية عمومًا.



من شواهد محرك (الكسل والفتور) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

حينما ينأى أقوام عن المجابهة المعرفية وإبطال الشبهات
النازلة في الساحة الفكرية وذلك لاختيارهم أمر السلامة
والركون عن مقارعة أصحابها.

ومن أبرز من كان الكسل المعرفي محرِّجًا له في بعض أفكاره
هم بعض علماء الصوفية، حيث أنهم جعلوا من عدم البحث
وراء الدليل والعلم أساسًا لآرائهم.

ومن يطلع على السرد التاريخي لنشوء التصوف الروحي في مرحلته المغالية المعاصرة يجد أنه في فترة ضاق العالم الإسلامي بالحياة الدنيا وكره ما تنطوي عليه من ضروب الشر والظلم، وانتهت الرغبة في إصلاح الدنيا عند نفر من أهله، وهذا أسهم في انتشار التصوف بين المسلمين للنجاة من الحال الذي هم فيه.

الاعتبار الشرعي لمحرك الفتور والكسل:

١

أن الشريعة الإسلامية أمرت بالاستعاذة من الكسل، وحرص الشريعة على ذلك يدل على مدى تأثير هذا المحرك في الأقوال والأفعال، فهو يمنع العبد من أداء حقوق الله، وحقوق نفسه، وأهله.

٢

جعلت الشريعة الكسل صفة وسمة للمنافقين، فكثير من الخلاف في المسائل العقدية وعموم الأفكار بين المؤمن والمنافق هو في حقيقته تهاون النفس تجاه تكاليف الشريعة.

٣

الاعتبار الشرعي بأن يكون الكسل محرّجًا للفكرة المخالفة للحكم الشرعي، وأن يكون علة معتبرة لبعض المسائل الشرعية، فقد جاءت النصوص الشرعية محذرة من أن يكون الكسل محرّجًا للمرء أمام الحكم الشرعي من جهة، ومن جهة أخرى اعتباره في كيفية التعامل معه حال تأثيره على الجانب التعبدي.

٤

خطاب الترغيب والترهيب في الشريعة الإسلامية لمعالجة محرك الكسل المُورث للأفكار المخالفة، ومن ذلك ما جاء في الثواب فيما يترتب عليه من امتحان المرء بترك الراحة والكسل.

٥

ورود محرك الكسل في صيغ المبايعة الشرعية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففي بيعة العقبة الثانية جاء الصحابة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: (يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل...).

المحرك الخامس

الوازع الديني

المقصود من الوازع الإيماني:

أصله هو حاجة النفس للإيمان والتدين، وهو أصل الفطرة، وثنائية الإنسان والتدين لا يمكن فصلها، و(الظاهرة الدينية) لدى الإنسان تعبر عن المحاولات الإنسانية للبحث عن الدين المناسب سواء كان سماويًا أو غيره.



ومن أهم العوامل التي تشكل احتياج الإنسان للدين:

١. أن الحياة الإنسانية لا تستقيم بشكلها الصحيح في ظل غياب منظومة تنظم سلوك الإنسان في مسيرته المعيشية.

٢. الحاجة الملحة لحضور الإجابات التفسيرية للظواهر الكونية واستحضارها، وهذا لا يزال لغزاً لدى العدميين والملاحدة.

٣. محاولات الوصول إلى أرض اليقين والهروب من حيرة الشك وتيهان الفراغ الروحي.

٤. الطريق للمثالية والطهارة الأخلاقية المتمثلة بالتدين؛ فلو ترك الأمر لجموح الإنسان لكان ظالماً.

٥. الإشباع الروحي في عالم الماورائيات والغيبيات غير المحسوسة، فلا بد أن يحاول الإنسان إشباعها بطريقة صحيحة أو غيرها، وهذا ما يدفعه للتدين بفطرته.

٦. إرادة النفس الإنسانية الموصلة للدين، وهذه الإرادة تكون متعلقة بمراد غيرها، ولو كانت لنفسها ستكون هي الإله، وهذا ما يتنافى مع لوازم حقيقة النفس المتعلق بمراد الغير، وبذلك لا يتعلق المراد إلا به سبحانه؛ لأن جميع المخلوقات إنما تكون مرادة لغيرها، فلا بد أن تتعلق الإرادة بالخالق.

من شواهد محرك (الوازع الديني) وتأثيره على الأفكار:

من أبرزها قصص الباحثين عن اليقين والراحة الروحية، كون ذلك من بواعث أنفسهم، لم يُملى عليهم من الخارج، وهذا ما كان عند آحاد وأفراد قبائل العرب قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث إن من كان متعلقًا ومدرجًا لأمر عبادتهم استنكر ما يقومون به من عبادة الأوثان والأصنام.

وشواهد الشعور بالراحة الروحية والقلبية في الوصول إلى غاية التأثير الديني كثيرة جدًا في شعور ومشاعر المسلمين الجدد، فنجد عندهم حضور هذا المحرك في الأفكار والسير العقلي والعلمي والبحث عن المعتقدات.

الاعتبار الشرعي لمحرك الوازع الديني:

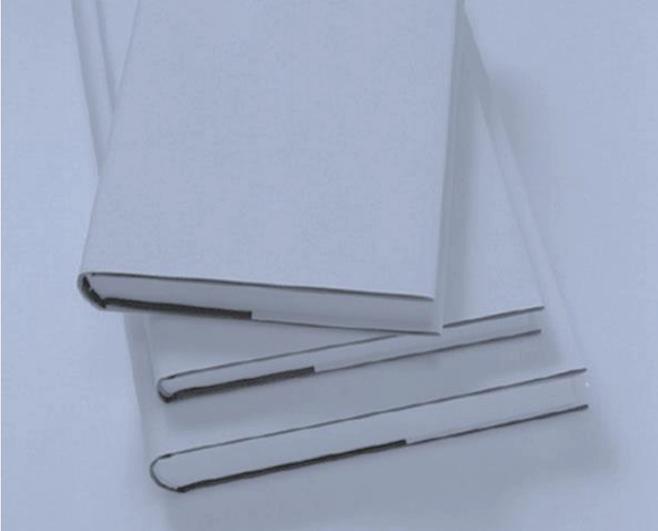
أخذت الشريعة بعين الاعتبار هذا
المحرك في نفس الإنسان، فجاءت
الأدلة الشرعية تؤكد ذلك، ومنها:

الأسئلة القرآنية التي استثارت حاجة
الإنسان للإجابات في عالم الغيب ودقة
الكون، وحينما يؤكد الخطاب القرآني
على حقيقة ميل الإنسان إلى معرفة الله
عز وجل ويستثيره للوصول إلى هذا
الأصل، فهذا اعتبار شرعي للمحرك
التديني لدى الإنسان.

الآيات القرآنية التي تحدثت عن الحقيقة
البشرية حال الشدة والخوف وحاجتها
للجوء إلى الله سبحانه، قال تعالى: {وَإِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا
إِيَّاهُ} [الإسراء: ٦٧].

الآيات القرآنية التي أوضحت إخفاق
الإنسان في إشباع محرك الإيمان لديه،
وبينت فساد حال من أخطأ في إشباعه،
وذلك في سياق البحث عن الأمن والحيرة
ودفع الضر، وجاءت الآيات بأسلوب تحدي
لهذه المحاولات، وأن ما هم عليه من
عبادة ودين ليس بحق ولن يشبع حاجتهم
مهما حاولوا.

الشواهد القرآنية للإنسان الظالم نفسه
بنكرانه حقيقة ميله للدين، ثم نهاية
إقراره لهذه الحقيقة، وأعظم شاهد
قرآني حال فرعون.



المحركات العقلية

المحرك الأول:

محرك التصور المادي

المقصود من محرك التصور المادي:

أن يتصور الشخص الحياة من خلال منظور مادي، يعتنق من خلاله بعض الأفكار، والتي لولا وجود هذا التصور لم تتشكل هذه المجموعة من الأفكار والمعتقدات. والتصور المادي هو ما يتعلق بالجانب الحياتي والمعيشي والواقعي، والذي هو أبعد ما يكون عن الجانب الروحي، ولا يشترط أن يكون صاحبه متبني لنظرية فلسفية مادية بل قد يكون في أطر الأديان.



ابرز ملامح هذا التصور:

١

المغالاة في قيمة المدنية والحضارة والعمارة والنهضة.

٢

السعي الحثيث وراء تحقيق الرفاه المعيشي، فلا تكون المعايير الأخروية الشرعية هي الحاكمة للسعادة.

٣

التقليل من الجوانب والأطروحات الروحية والدينية والميل إلى العقلنة والبراهين العلمية.



٤

تجاوز حاكمية التراث من ناحية الحكم في التصورات أو
اعتباره في الهرم العلمي والمعرفي، فلا يولي
التراث الديني اعتبارًا في الحكم على الأشياء
الحياتية.

٥

وقوع الدرج من الأحكام الشرعية التي تقلل من قيم
ومفاهيم النظرة المادية، مثل الآيات التي تدم الدنيا
والرفاه، أو التي توضح منزلة الكافر الجاحد.

٦

الانبهار والافتتان بالقوة المادية الحديثة، فتكون
هي معيار الانتصار والغلبة الحقيقية، مقابل
التجاهل أن للمعتقدات والأفكار قوة توازي قوة
المادة المدنية الحديثة.

ويمكن بيان علاقة محرك (التصور المادي) وصلته بعالم الأفكار والمعتقدات من خلال ما يلي:

٣

الوقائع الفكرية في الفضاء الثقافي ذات النزعة المادية، والتي أصل أفكارها الغلو المدني والعمراني.

٢

المساحات الثقافية والفكرية المشتركة بين قيم ومفاهيم التصور المادي وعالم الأفكار.

١

حتمية تأثير المنطلقات والتصورات الذهنية على الأفكار والمعتقدات، فالنظرة الكلية للحياة هي أساس تشكل الأفكار الجزئية.

**من شواهد محرك (التصور المادي)
وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:**
مشهد بعض الحداثيين العرب في بناء منظومتهم
المفاهيمية والقيمية، وما يقومون به من سلوك
فكري لتشبيد المواقف المنهجية تجاه قضايا مثل:
الحضارة والعمارة والحريّة والتطور والمواكبة
العصرية.

الاعتبار الشرعي لمحرك التصور المادي:

جاء هذا الاعتبار لجعل قضايا التصور المادي في منزلتها المناسبة لها، ويتضح ذلك فيما يلي:

١ منزلة الدار الآخرة في الخطاب القرآني أمام الحياة الدنيا، وذلك من خلال تأسيس مركزية الآخرة في مقابل ذم الاستغراق الدنيوي.

٢ منزلة المؤمن عديم المادة أمام الكافر صاحب الوفرة المادية، فكثير من الآيات شبهت الكفار بتشبيهات تجعل المرء يدرك منزلة الكافر الجاحد للحق وإن كان قويًا ماديًا.

٣

ركيزة النبوات السماوية المرتكزة على
المعتقدات في مقابل الماديات، فرسالات
الأنبياء جعلت قيم التصور المادي ثانوية أمام
قضايا الرسالة والإيمان.

٤

صقل الشريعة الإسلامية للشخصية الإيمانية
بالروحانيات أمام الماديات، فالنصوص الشرعية
جاءت بالتأكيد على تعزيز الجانب الوجداني في
قلب المؤمن، والذي يسعى التصور المادي
لعدميته في النفس البشرية.

المحرك الثاني: الجهل المعرفي



المقصود من محرك الجهل المعرفي:

أن تكون الفكرة ناتجة لجهل صاحبها في جزئية معينة، سواءً كان الجهل في التصور أو قصور في الوصول للمعلومة أو قصور في النظر العقلي والعلمي، فيحمل الاحتمالين على الجهل البسيط والجهل المركب.

تأثير محرك الجهل في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

المقابلة اللغوية والمعرفية للفضة (العلم) -
المقتضية للفكر والمعتقد - أمام (الجهل)، حيث إن
النقيض المباشر والمقابل دليل الوثوق وزيادة، ولا
علاقة لصواب الفكرة من عدمها بقدر ما هو تأثير
الجهل على الاقتناع بهذه الفكرة.

٢

واقعية تأثير الجهل على الأفكار ونشوتها، وإقرار من
سبر الآراء بأن دافعها أساسه الجهل.

٣

تأثير الجهل على النمط السلوكي الكلي للإنسان، فإن كان تأثير الجهل ثابتاً على السلوك الإنساني فمن باب أولى تأثيره على العقل.

٤

مناطق الخلاف في سبب وأثر الجهل على الأحكام والأقوال، فالناظر في الخلاف العلمي لمسألة الإعذار بالجهل في أحكام الاعتقاد يدرك مدى حضور هذا المحرك في الفضاء العقدي.

من شواهد محرك (الجهل المعرفي) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

جملة أفكار الجاهلية المنتشرة في
تلك الحقبة، فالجهل كان أساسها.

وكذلك من الشواهد التي تمثل تأثير
هذا المحرك على صناعة الأفكار
وتمريرها على العقول والأفهام، هو
النموذج الفرعوني في تجهيل قومه
ومن يأترون بأمره.

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام عن
بعض المتصوفة وأفكارهم وأن
مصدرها هو الجهل في الدين، وما
ذكره من أمثلة كثيرة لجهالات
الرافضة.

المحرك الثالث:

تحرر العقل والاعتداد به



المقصود من محرك تحرر العقل والاعتداد به:

هو أن تكون الفكرة منبعها ليس الفكرة
ذاتها أو القناعة بها بقدر ما هي استجابة
لحالة العقل في مكابرتة والاعتداد به وتحرره
المطلق.



تأثير محرك تحرر العقل والاعتداد به في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

٢

العقل أصل في المعرفة والنظر، لكنه ليس مستقلاً بذاته، إنما هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس، وإن انفرد بنفسه لم يُبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

١

صلة سلوك العقل بالأفكار والمعتقدات من حيث الأصل؛ فالاستكبار العقلي لا بد أن يفرز آراءً مستعليةً معرفيًا وعلميًا؛ والتي تحمل باستعلائها الاستنقاص من مسائل العبودية أو قضايا التسليم.

١

تقرير أصحاب الدراية والعلم أن العقل له منتهى وحد، وفي هذا إشارة إلى أن التحرر من هذه الحدود إخلال بمعنى العقل وجوهره وحقيقة عمله والغاية من إيجاده.

٢

واقعية تأثير تحرر العقل واعتداد صاحبه على الأفكار والمعتقدات، فللعقل سلطان على صاحبه، فلا يقوم بشيء إلا بعد تقدير صوابه من عدمه بلا أي اعتبار واعتداد بغيره.



من شواهد محرك (تحرر العقل والاعتداد به) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

شاهد ذلك المعتزلة -أبرز الفرق الكلامية- ويتجلى تأثير محرك تحرر العقل والاعتداد به عند المعتزلة في عدة جوانب؛ أبرزها:

١

تعظيم منزلة الأدوات العقلية في الخريطة الإدراكية عند المعتزلة.

٢

تقديم الرأي العقلي على النقل النصي.

٣

عدم وجود المنهي للحدود العقلية، فلديهم حرية الجهد العقلي اللامتناهي في مضمار الأفكار الموصل للثمرة الضئيلة.

الاعتبار الشرعي لمحرك تحرر العقل والاعتداد به:

١- إعمال العقل في مساحات شرعية متعددة؛ فالدعوة الشرعية إلى التأمل والتفكير بأسرار الكون وحقائق الأمور أعظم شاهد للعمل العقلي.

٢- التوجيه الشرعي لسلوك العقل، بالتحذير أن يُهْمَش فينهج التقليد والجهل، وفي المقابل التحذير من تقديسه فيُقدَّم على ما هو أولى منه .

٣- التعامل الشرعي مع تساؤلات العقل المتحرر في الشبهات العقلية، وذلك بمبدأ التسليم الكابح لجماع العقول في مساحات الاعتقاد.

٤- العقل كان أبرز العلامات الفارقة بين أهل السنة والمبتدعة، فأهل السنة جعلوا الأصل في الدين؛ الاتباع، والمعقول تبع، بخلاف المبتدعة.

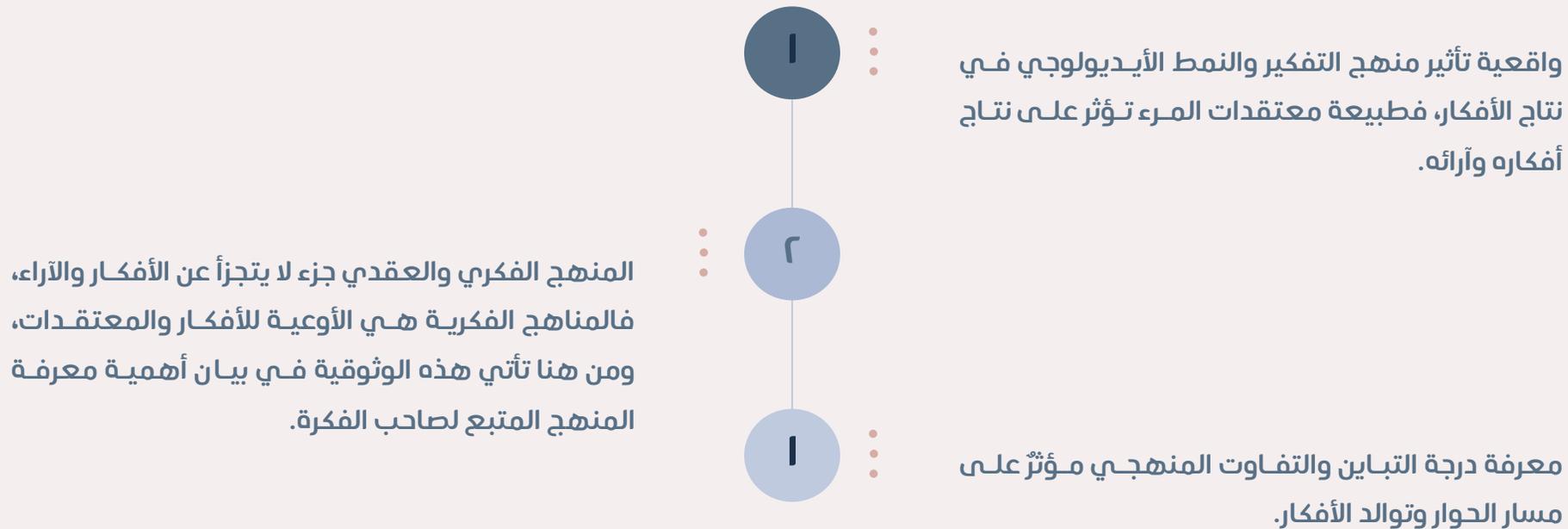


المحرك الرابع: التباين والتفاوت المنهجي

المقصود من محرك التباين والتفاوت المنهجي:

هو أن تكون الفكرة أساسها الطريقة العامة المنتهجة في العملية العقلية لجميع نواحي الحياة، على نطاق السلوك والأفكار والمعتقدات، لا أن يكون المحرك هو ذات الفكرة وبذلك تكون المسلمات الأساسية والثوابت الكبرى الإدراكية لدى صاحب الفكرة هي التي تدفعه لتفاصيل الأفكار وعمومها.

تأثير محرك التباین والتفاوت المنهجي في الفكر:



من شواهد محرك (التباين والتفاوت المنهجي) وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

من أبرز الشواهد؛ الاختلاف المنهجي والعقدي لدى اليهود والنصارى في العهد النبوي والذي أنتج موقفهم من الدعوة النبوية وأوضح نمط ونوع مجادلتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان الاختلاف بين مواقفهم وأرائهم تجاه بدايات الدعوة وبين مواقف سادات قريش والعرب والذي أسسه الاختلاف المنهجي والعقدي.

الاعتبار الشرعي لمحرك التباين والتفاوت المنهجي:

ا

الاعتبار الشرعي للاختلاف والتفاوت المنهجي من
حيثيات متعددة منها:

- من حيث استحضار ذلك في الدعوة إلى الله.
- من حيث ما أثاره الخطاب القرآني من التساؤلات الخارجة عن نطاقه المنهجي، فأسلوب التساؤل المنهجي في بعض الآيات لا يصدر من المنظومة الشرعية بقدر ما يصدر من خارج هذه المنهجية.

- من حيث ما أجاب عنه الخطاب الشرعي وتقبله الأسئلة من خارج الإطار المنهجي عنه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- راعى الاختلاف المنهجي والتفاوت في المرجعية العقلية عند تعامله مع حجج وأسئلة اليهود والنصارى.
- من حيث تقبل الطرح المنهجي في أجواء المناقشة والمجادلة، فما يُعتبر تقصيرًا في حق نبينا -صلى الله عليه وسلم- إن بدا من المخالف الخارج عن الإسلام يقبله النبي لاعتبار الاختلاف.
- من حيث ما بينه الخطاب القرآني من العلل العقلية التي تراعى أصول المنهجية غير المؤمنة والمسلمة للنص الشرعي.

٢

اعتبار الاختلاف الكوني بين البشر، فالإقرار الشرعي
لحتمية الاختلاف في التصورات، اعتباراً في التباين
المنهجي الذي هو ثمرة هذه الحقيقة الكونية، وليس
هذا تبريراً شرعي لتقرير شرعية وصحة وقوع الخلاف،
لكنه تقرير شرعي على أمرٍ كوني.

٣

النقد الشرعي لقصور النظر والاعتبار في تصور
الاختلاف والتفاوت المنهجي بين الناس، فالتقرير
الإلهي من الله عز وجل لنبيه -صلى الله عليه وسلم-
بأن عليه البلاغ فقط دون الإجابة عن المخالف
المنهجي هو تأكيد على حجم الاعتبار لهذا المحرك.

المحرك الخامس

الغموض في الأفكار وأساليب طرحها



**المقصود من محرك الغموض
في الأفكار وأساليب طرحها:**
أن يكون منبع القناعة بالفكرة هو
طريقة طرحها والأسلوب الذي تم
عرض الفكرة فيه.

تأثير محرك الغموض في الأفكار وأساليب طرحها في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

الباحث في أصول الأفكار يدرك أن التعقيد في الحديث وطلب
الوعورة في العبارة هو مما يستهوي بعض الخائضين في
الفكر.

الأدوات الإعلامية المعاصرة التي تعتمد على الأساليب والطرق
للتأثير على رواج الأفكار والمعتقدات، وإن كانت عارية من
الصحة والصواب.

١

٢

٣

الحالة النفسية و التي تعترني من يقع في شرك منتهجي الغموض في طرح أفكارهم وآرائهم؛ حيث يدخل في مرحلة الانهزام الثقافي الذي يدفعه لتقرير نتائج الفكرة.

٤

الواقعية التاريخية لتأثير أسلوب الغموض والإبهام على سير الأفكار والقناعات والمعتقدات ويكثر وقوعه بين شرائح فكرية متعددة، مثل من أسرتهم هالة الغموض الفلسفي.

من شواهد محرك الغموض في الأفكار وأساليبها وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما سلكه بعض المبتدعة في مسائل الإيمان عمومًا
وفي أبواب الصفات على وجه الخصوص، ومن أبرز من
جعل الإبهام في المعاني والمكر والخديعة في القول
أسلوبًا لتمرير معتقداتهم هم (المعطلة والجهمية).
ومن النماذج كذلك الخطاب الحداثي العرب المعاصر
المتمثل في كتابات المفكر المغربي محمد أركون
وغيره.

الاعتبار الشرعي لمحرك الغموض في الأفكار وأساليب طرحها:

من أبرز الجوانب التي تبين منزلة
الأسلوب والطريقة في عرض
الأفكار والمعتقدات ما يلي:

١

تأكيد الخطاب القرآني على ضرورة التعامل
الحسن والطريقة الصحيحة في الدعوة إلى
الله؛ والمتأمل يدرك منزلة الأسلوب والطريقة
في عملية تصدير الأفكار والمعتقدات الشرعية
في البيئات المغايرة.

٢

تعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- بأساليب
متعددة لسرائح مجتمعية مختلفة، وذلك
إدراك منه -صلى الله عليه وسلم- لمدى تأثير
الأساليب والطرق في الأفكار المقدمة على
الأفكار ذاتها، ومدى وصولها إلى العقول
والأفئدة.

٣

التحذير الشرعي من أن يحول الأسلوب بين
الفكرة وقلوب وعقول المخاطبين، ومن ذلك
جاء التحذير الرباني للنبي -صلى الله عليه
وسلم- في حال كان تعامله بخلاف ما هو
عليه من الرحمة والتعامل الحسن، قال تعالى:
{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا
عَلِيظًا لَّفُتِّتُوا مِن حَوْلِكَ} [آل عمران:
١٥٩].

٥

الاستعمالات القرآنية للأساليب العربية
المتعددة التي تتناول الأفهام والمدارك
المختلفة.

٤

تقرير القرآن الكريم والسنة النبوية بأن الأسلوب
والطريقة هما سبب ميل بعض المتأثرين إلى
الأفكار المخالفة للشريعة الإسلامية.



المحركات الخارجية لنشوء الأفكار

المحرك الأول: سنة الابتلاء

المقصود من محرك سنة الابتلاء:

هو أن تكون سنة الابتلاء هي التي تدفع صاحب الفكرة أن يصرح أو يقتنع بفكرته، فيكون الابتلاء هو الدافع لقبول الفكرة أو رفضها وليس ذات الفكرة وصوابيتها من عدمها.



تأثير محرك سنة الابتلاء في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

قوة البلاء وتأثيره على الفكر
والمعرفة في تعذر
حصولهما، كواقعة محنة
خلق القرآن وتعذر التصريح
بالرأي الحقيقي.

الفاحص للأفكار في الفضاء
الفكري يجد أن بعض الآراء لم
تنتشر إلا بعد محن وكوارث
وابتلاءات.

من طبيعة الإنسان البشرية
أنها تتأثر حال وقوعها
بالمحن والمصاعب
والابتلاءات.



من شواهد محرك سنة الابتلاء وتأثيرها على الأفكار والمعتقدات:

الموجة الإلحادية التي نتجت عن ضعف التوكل على الله والنجاح في تخطي اختبار البلاء الرباني تجاه العبد، ولذلك تنشط الشبهات الإلحادية في أجواء الكوارث والمصائب وبث التساؤلات المتعلقة بملف الشر.

الاعتبار الشرعي لمحرك سنة الابتلاء: من أبرز الجوانب الشرعية في اعتبار البلاء محركًا من محركات الأفكار:

أ. التقرير الشرعي للغاية من وقوع
سنة الابتلاء الكونية؛ وهي التمحيص
وإظهار المطيع من العاصي.

٢. النماذج الشرعية في جعل سنة
الابتلاء والامتحان مولدًا لأفكار بعينها؛
ومن أبرزها: التي تؤكد المقصد الرباني
في إنابة العبد وصدق استسلامه لأمر
ربه؛ ما حدث لنبي الله إبراهيم -عليه
السلام- فبعد انتظاره الولد سنين
عديدة ثم بعد أن رزقه الله وكبر هذا
الابن جاءت الرؤيا لنبي الله أن يذبحه
وشرع في ذلك الشأن.

٣. جعلت الشريعة الإسلامية من
الابتلاء أداةً لكشف معادن الأفكار
ومدى تجذر المعتقدات في الأفئدة،
فخلق الصبر على البلاء ومدى إيمان
المرء لا ينكشف مداه إلا بهذا البلاء
المنصب عليه.

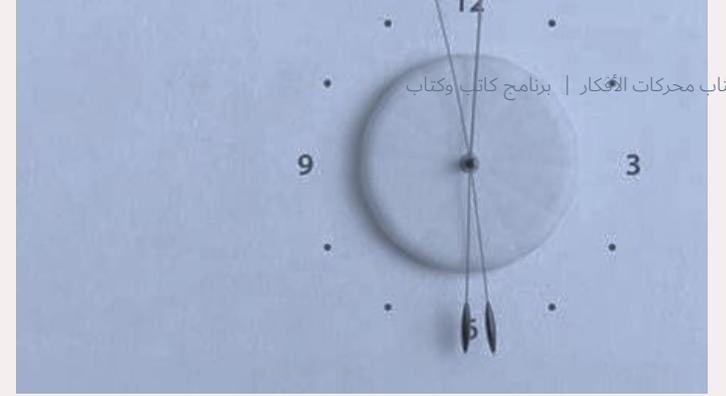
٤. الاستيعاب الشرعي لنوع الأفكار
الناجمة عن أجواء الابتلاء والمحن، وذلك
من حيث تقرير بعض الأحكام الشرعية
التي تكبح جماح العقل البشري أن يجنح
نحو التفكير الخاطئ نتيجة وقوع
الابتلاء.

٥. التقرير الشرعي على قوة البلاء أمام
إرادة الإنسان المجردة عن الإيمان فضلًا
عن أفكاره وآرائه، فقد جاءت التحذيرات
الشرعية من أن يتمنى المرء السوء
والشر ليثبت صحة معتقده وآرائه ثم
يكون عكس ذلك.



المحرك الثاني

سنة التغيير والمداولة



المقصود من محرك سنة التغيير والمداولة:
هو أن أساس الفكرة وظهورها أو القناعة بها
نتيجة تغير الأحوال في المجتمعات، وكونها
ثمرة طبيعية لسنة المداولة بين الشعوب
والأمم.



تأثير محرك سنة التغيير والمدولة في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

٣

أن المدولة الفكرية والتغيير
المفاهيمي للمعاني العقلية
سنة كونية.

٢

الوقائع التاريخية جاءت لتؤكد
مدى قوة تأثير أحوال التغيير
والمدولة على الأفكار
والمعتقدات.

١

أنه بطبيعة الحال بتغيير الحياة
تتغير تفاصيل ما فيها، ومنها
الأفكار.

من شواهد محرك سنة التغيير والمداولة وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما تغير الحال عليه في الأمة الإسلامية إلى
قحط ومجاعة في سنة ١٨هـ والتي سميت
بعام الرمادة، وقد تجلى فيها موقف
المعالجة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
-رضي الله عنه- في جملة من الأحكام أبرزها
ما يلي:

- إسقاط حد السرقة.
- تأخير جباية الصدقة.
- ما سُنّه أمير المؤمنين من طريق المساندات
من طعام وإمدادات حتى بعد عام الرمادة.
- الأفكار الإدارية الاحترازية بعد مجاعة عام
الرمادة والتي من أبرزها ديوان العطاء،
وديوان الجند والذي يعتبر أعظم التنظيمات
المالية للدولة الإسلامية.

الاعتبار الشرعي لمحرك التغيير والمداولة

١

ربط صلة التأثير بين تغير الحال العام بالتغيير الخاص والشخصي؛ بينت الشريعة الإسلامية مبدأ الربط الوثيق بين النفس الإنسانية والحال العام المجتمعي، وهذا الربط يؤكد ارتباط تأثيرهما الأساسي والعكسي، قال تعالى: {ذلك بأن الله لم يك مغيّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٥٣]

٢

النموذج الشرعي للأفكار الإسلامية بين أجواء الجاهلية وأجواء عزة وقوة الإسلام، فقد كان الصحابة يعيشون في الجاهلية على نمط معين من التفكير والسلوك، ثم بعد الهجرة وانتشار الإسلام تغيرت الأفكار والآراء.

٣

الوعد الشرعي لتغير الأحوال وتحقيق المداولة للتأثير على الأفكار، ومن أبرز هذه الوقائع؛ ما وعده النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم الطائي بتغيير الحال والشأن ومداولته لأهل الإسلام بغير قناعته وأفكاره إلى الإسلام.

٤

السلوان الشرعي بسنة التغيير والمداولة حال عتمة الشأن والأمر.

٥

استحضار الذهنية الشرعية لسنة التغيير والمداولة؛ فسنة التغيير والمداولة حاضرة بكثرة في كتب العلماء وخطبهم مع تنوع سياقاتهم المعرفية والعلمية.

٦

الاعتبار الشرعي لمحرك التغيير والمداولة من حيث مراعاة علة تغير الحال في الحكم الشرعي.

المحرك الثالث: سنة التدافع

المقصود من محرك سنة التدافع

هو أن يكون أساس وأصل الفكرة هو السنة الماضية في التدافع وحتمية الاختلاف فيه، ولزوم استمرارية الصراع بين المختلفين من جهة، وكذلك استحضار ذلك واستصحاب حال سنة التدافع من جهة التدافع من جهة أخرى.



تأثير محرك سنة التدافع في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

حتمية الخلاف الفكري وأزلية الصراع العقدي، فالمتتبع للتاريخ يدرك أن حالة التدافع المنهجي والفكري والعقدي لم تتوقف، وإنما تنتقل من زمان لزمان مختلف، والأفكار والمعتقدات والآراء تنشأ على إثر هذه الأجواء.

٢

أن أجواء التدافع والصراع تورث أفكارًا تختلف عن الأفكار التي تنشأ حال الرخاء والسلام الفكري.



٣

أن التدافع بين المتضادات عملية طبيعية في حال التقرير العقلي للتفريق بين المتضادات، فالطبيعة العلمية تقرر أن الأشياء المختلفة ستظل كذلك، والمواجهة بين هذه الأشياء المتضادة تنتج نتائج عكسية.

٤

الطبيعة النفسية للإنسان في التأثير على أخلاقه وأفكاره في أجواء التدافع والصراع، فلا يستوي من ولدت ونشأت أفكاره في استقرار نفسه، وبين من ولدت أفكاره ونشأت في حالة نفسية مشحونة بالآثار الفكرية للصراع والتدافع في وجهات النظر المتباينة.

٥

أن تمادي الانفعالات النفسية حال النزاع وأجواء المدافعة والخلاف ليس له حد، فالأمر قد يتجاوز التأثير على الأفكار والآراء والمعتقدات بمراحل ويصل إلى البغي والظلم.



من شواهد محرك التدافع وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما عاشه العالم الإسلامي المعاصر في الأجواء التي صنعها المستعمر الأجنبي له، والتي تحمل هوية الصراع الفكري والعراك الثقافي، وإن أبرز ما أنتجته هذه الحقبة: هي الأفكار التي تنشأ باعتبارها ردة فعل أمام الاستفزاز الثقافي في أجواء توتر الصراع الفكري.

الاعتبار الشرعي لمحرك سنة التدافع:

١
التقرير الشرعي لحقيقة
وحتمية وأزلية سنة التدافع
في الوجود البشري، قال
تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١].

٢
المقتضيات الشرعية المقررة
لواقع أزلية الصراع بين النفس
وصاحبها، فاستقراء النصوص
الشرعية يؤكد أن أصعب ما
ينفك عنه المرء هو النفس
الأمارة بالسوء.

٣
التوجيهات الشرعية الحاكمة
لسيلان الأفكار في أجواء
الخلاف والتدافع، فالنصوص
الشرعية تسهم في تهذيب
السلوك الفكري والحد من
جموح الفكر والرأي في حال
تأثير أجواء التدافع فيه.

المحرك الرابع: الظرف الاجتماعي



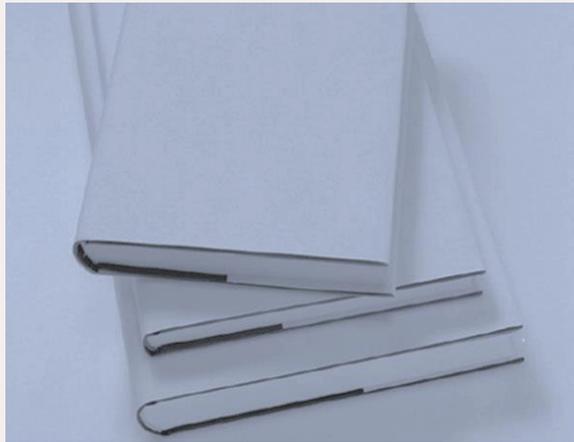
المقصود من محرك الظرف الاجتماعي

هو أن يكون سبب قبول الفكرة المطروحة وانتشارها أو رفضها وانحسارها هو ما يعيشه المجتمع الذي نشأت فيه هذه الحركة الفكرية، فتكون البيئة الاجتماعية هي التي تدفع بهذا النمط من الأفكار والآراء والمعتقدات إلى النشوء والظهور والانتشار.

تأثير محرك الظرف الاجتماعي في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

الواقعية التاريخية لحقيقة تأثير
البيئة الاجتماعية وما تمر به من
ظروف على الأفكار والمعتقدات.

الحالة الإنسانية المندمجة بين
الشعور والحاجة للمجتمع والإنسان
الآخر في عموم الحياة، ومن هذا
الاحتياج جاء الاتصال المتجذر بين
الإنسان وبين مجتمعه بما في ذلك
الاتصال الفكري المتبادل.



أنه لا يمكن للفكرة أن تعيش في
مجتمع يرفضها، كما أن النبتة لا
يمكن أن تنمو في تربة غير صالحة
لها.

إن الباحث في شأن الرجال أول ما
يجب عليه ذكره حال دراسة أمرهم
وشأنهم هو تنشئتهم الاجتماعية.

من شواهد محرك الظرف الاجتماعي وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

الحقبة الزمنية والحالة الاجتماعية التي عايشتها المجتمعات العربية في بواكر الاستعمار، فالحال الاجتماعي الذي كانت تعيشه المجتمعات العربية في أواخر الدولة العثمانية في نهايات القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين والتي كانت تسمى بـ (الرجل المريض)، حيث أسهم الظرف الاجتماعي في تمرير بعض الأفكار الاستعمارية.

الاعتبار الشرعي لمحرك الظرف الاجتماعي:

٢

نقل الشريعة الإسلامية لقراءة الأفكار والآراء من ناحية الفحص الاجتماعي لها، قال تعالى على لسان قوم مريم عليها السلام: {يَا أُخْتُ هَازُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا} [مريم: ٢٨].

١

التقرير الشرعي في تأثير الظرف الاجتماعي المباشر على الأفكار والمعتقدات، قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..).

٣

عدم تسوية الحال بين ظروف المجتمعات المتغايرة؛ ففرقت الشريعة الإسلامية بين الظروف الاجتماعية المواتية للأفكار الشرعية وبين الظروف المجتمعية التي لا توجد سبيلًا لها في الوصول إلى العقول والأفهام، ومن ذلك ما فرقه الله تعالى بين المنفقين للصدقة في الظرف الاجتماعي قبل صلح الحديبية وبعده.

٤

حرص الرسل -صلوات الله عليهم- على المسألة الاجتماعية وإدراكهم لأثرها الدعوي، وفي هجرته -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة، يظهر الاعتبار النبوي للظرف الاجتماعي المدني وأثره في إقامة الدعوة.

٥

بدء الدعوة النبوية في المحيط الأسري ثم الدائرة الأوسع.

٦

الاختلاف الشرعي المعتبر في مصائر أطفال الكفار، فالخلاف جاء من استحضار الأحاديث التي جعلت من البيئة الاجتماعية والظرف الذي ينشأ عليه الطفل اعتبارًا وألوية.

U

الأحكام الشرعية المتعلقة بفقهاء الأقليات الإسلامية، إذ كان لهم من الأحكام ما يميزهم عن غيرهم ممن يعيش في البلاد المسلمة، وهذا التمييز من قبيل المصالح والمفاسد والاعتبارات الشرعية للظروف الاجتماعية.

n

اشتراط العلماء لحاضن الطفل اتفاهما في الدين، وجاء ذلك من إدراكهم ما على البيئة من تأثير على الطفل.



المحرك الخامس: سلطة الأقران



المقصود من محرك سلطة الأقران:

هو أن يكون المحرك الحقيقي للفكرة المذاعة والمصرح بها من الشخص هو الصديق والقريب منه في المنزلة والمكانة.



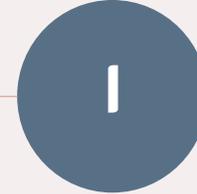
تأثير محرك سلطة الأقران في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:



التراث المعرفي الإنساني يؤكد
لشأن محرك سلطة الأقران ومدى تأثيره
على السلوك والأفكار.



أن ديمومة الأشياء وقربها مؤثرة في
طبيعة الحال والأمر على ما يقربها
ويدوم معها.



أن التأثير على الأفكار جزء لا يتجزأ من
التأثير الأكبر على الجوانب الأخرى، فتأثير
قرب الأشياء فضلاً عن الأشخاص
ملحوظ ومشاهد، ولا يمكن استثناء
التأثير الفكري عن تأثير قرب الشخص من
الأخر.

من شواهد محرك سلطة الأقران وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

الموقف العقدي لعم رسول الله - صل الله عليه
وسلم - أبو طالب حال وفاته؛ فسلطة الأقران من
قومه كانت هي الحيلولة التي وقفت بينه وبين
إسلامه.

الاعتبار الشرعي لمحرك سلطة الأقران:

منزلة الصداقة والملازمة في الشريعة الإسلامية، فقد جعلت الشريعة من الصداقة والمعية بين الأشخاص منزلة عظيمة من ناحية التأثير ومن ناحية الحقوق والواجبات، وأيضاً التبعات والآثار المترتبة على الصداقة.

ا

٢

مخاطبة القرآن الكريم المكلفين من خلال قدر الأقران فيما بينهم، ومن ذلك:

- المشهد القرآني لمرتكب الغيبة في حق أخيه المسلم؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات: ١٢).
- المشهد القرآني في تخلي الصديق الحميم يوم القيامة عن صاحبه؛ قال تعالى: {فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} (الشعراء: ١٠٠-١٠١).

٣

التقرير الشرعي لحضور محرك سلطة الأقران في الفكر والعلم؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (مثل الجليس الصالح كحامل المسك، إلا يهب لك تجد ريحه، ومثل الجليس السوء كالكير، إذا جلست إليه نفخ لكيره، فُيصيبك من دخانه وشرره).

ع

التوجيه الشرعي للصبر على الصديق المعين على الحق والخير؛ قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ مُرْطًا} (الكهف: ٢٨).

ه

النهي الشرعي المتكرر عن اتخاذ قرناء السوء أصحابًا؛ قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ دَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأنعام: ٦٨).

المحرك السادس: العصية للقبيلة والأشياخ

المقصود من محرك العصبية للقبيلة والأشياخ:

هو أن يكون أساس الفكرة وانطلاقها
وانبعاثها تقليد الآباء والأجداد أو الانقياد
والانصياع لذات الانصياع للأشياخ ومن يعلوهم
في العلم والقدر.



تأثير محرك العصبية للقبيلة والأشياخ في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

٢

أن التعصب والتقليد المذموم أثره
في الأفكار والآراء والمعتقدات
مباشراً لها وحاضراً فيها، فإن تقرير
التعصب من خلال التصريح بالأفكار
والآراء.

١

تحذير العارفين في العلوم والأفكار
من استيلاء التعصب على محط
التفكير والعمل العقلي.

س

أن التعصب والتقليد المذموم يحول بين الفكرة العلمية وبين العقل العامل، فالتعصب حجاب يحول بين التعامل الصحيح الذي ينبغي وبين العقل الواعي مع الفكرة العائمة في الفضاء الفكري.

هـ

واقعية تأثير التعصب على الأفكار والآراء والمعتقدات، فقد ذكر أهل العلم نماذج ممن زاغ به عقله وأحكمته عصبيته، فصار يصدر الأحكام انطلاقاً منها.

ع

أن التعصب يؤثر على ما هو أشد من الأفكار والآراء فضلاً عنها، فقد يصل الحال إلى أن تُزهق روح المرء في سبيل العصبية التي تحركه.



من شواهد محرك العصبية للقبيلة والأشياخ وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما كشفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من أن استعمال أهل الكلام لمصطلحاتهم، وجملة من عباراتهم ومفاهيمهم هي في حقيقتها تعصب لأئمتهم وتقليد واتباع محض لأسلافهم من أهل الكلام، ومن سبقهم في المنطق اليوناني.

الاعتبار الشرعي لمحرك العصبية للقبيلة والأشياخ:

التوجيه الشرعي للاجتماع
والائتلاف والتحذير من الفرقة
والاختلاف.

أن التعصب من الدعاوى
الجاهلية التي جاء الإسلام
لنبذها والنهي عنها.

التحذير الشرعي المتكرر من أن
يعتري المؤمن هذا الأمر
فيتشكل فيه هذا المحرك،
لغاية حفظ الدين والعلم في
نفس المؤمن من أن ينقص أو
يعارض شيئاً لم يأمر به الله
تعالى.

التقرير الشرعي أن جملة من
الأفكار المناوئة للإسلام محركها
هو التعصب للقبيلة والأشياخ،
فقد ذم الله تعالى في القرآن
الكريم من عدل عن اتباع الرسل
إلى ما نشأ عليه من دين آبائه
وأجداده.

المحرك السابع: الفقر



المقصود من محرك الفقر:
هو أن تكون الفكرة أساسها وأصلها
منطلق من الفقر والعوز والمسكنة،
سواء على المستوى الفردي أم
المجتمعي العام.

تأثير محرك الفقر في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

من طبيعة الإنسان أن يتأثر بمن حوله من الظروف والأحوال خاصة ما يمس الشيء الضروري في حياته.

٢

أن حالة الفقر تأخذ حيزًا ذهنيًا في محاولة تجاوزها.

١

أن المجتمعات التي ذاع وانتشر فيها الفقر والعوز أسوء حالاً من المجتمعات التي قل فيها الفقر من الناحية الفكرية.

٤

إذا كان تأثير الفقر وحاله على الإنسان والمجتمع في أمور أعظم من الأفكار والذهنيات فمن باب أولى تأثيره على الأفكار والمعتقدات.

من شواهد محرك الفقر وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

نموذج الصنف المستحق للزكاة (المؤلفة قلوبهم)
حيث أن العنصر الاقتصادي والمالي متحقق فيهم،
في مقابل الجانب الآخر في الاستمالة إلى الأفكار
الشرعية والعقيدة الإسلامية.

ومن ذلك أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: "إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها".

الاعتبار الشرعي لمحرك الفقر:

السعي الشرعي في معالجة ملف الفقر في المجتمع الإسلامي، ومن أبرز الجوانب التشريعية والإجرائية في المعالجة النبوية:

- مبدأ المؤاخاة المجتمعية بين المهاجرين والأنصار.
- التقرير التشريعي في الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء في ذات المجتمع.
- تكوين الملجأ الاقتصادي المتمثل في أهل الصفة.

التقرير التشريعي لتأثير الفقر على الأفكار والآراء والمعتقدات، فالنصوص الشرعية فيها جملة من الاستنباطات التي أقرت بأن الفقر له تأثيره السلوكي والنفسي على الأفكار والمعتقدات ومن ذلك:

- البيان الشرعي في تلويح الشيطان بعامل الفقر أمام المؤمن، فالشيطان يجعل من الفقر وسيلة للتأثير على المؤمن في أفكاره وعقيدته، والله تعالى قابل هذا المكر والكيد بأنه سبحانه لديه الفضل وأنه واسع عليم.
- النهي عن الأثر الفكري لحالة الفقر، فجاء النهي المباشر عن ازدراء ما قسمه الله من الرزق للعبد والنعمة التي بين يديه حال فقره.
- التوضيح الشرعي أن الغنى غنى النفس لا المال، فالغنى النفسي يقلل النتائج السلبية على الذهن في توليد الأفكار الناجمة من حالة الفقر والفاقة، قال -صلى الله عليه وسلم-: (ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس).

٣

تأليف النبي - صلى الله عليه وسلم - قلوب المعتبرين للمال إلى الدين الإسلامي، وهذا من أعظم الشواهد والنماذج الشرعية في أن المال له تأثيره في الأفكار والمعتقدات.

٤

الأحكام الشرعية المرتبطة بتجاوز حالة الفقر، فالشريعة الإسلامية لم تقرر بعض الأحكام الشرعية إلا بعد انتفاء وصف الفقر والفاقة عن المكلف، ومن ذلك:

- استحضار عامل الاستطاعة بأنواعها في فريضة الحج.
- استحقاق الفقير للزكاة والصدقة فضلًا عن وجوبها ووقوعها عليه.
- اعتبار القدرة في الزواج ومنها القدرة المالية.

٥

استحضار النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتبار تأثير الفقر على الأفكار والمعتقد، فالمتتبع لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في توزيعه للأعطيات يجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يدرك تأثير العطاء المالي على الأفكار والمعتقدات.

٦

استعاضة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفقر في الأدعية المأثورة عنه، فخطر الشيء على الفكر والمعتقد يكمن في تسميته الشرعية أنه فتنة ويُستعاض منه.

المحرك الثامن: الاسترزاق المعيشي

المقصود من محرك الاسترزاق

المعيشي:

أن يكون أصل الفكرة والرأي ومنشأهما
يقوم على طلب الرزق من صاحب الفكرة
والرأي لغاية العيش وتحسين الحال.



تأثير محرك الاسترزاق المعيشي في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

أن طلب الرزق محتوم في أبجديات الحياة والعيش.

٢

تفضيل الاسترزاق الحر عن الاسترزاق المقيّد في الطبيعة الإنسانية، فالأفكار والأطر الثقافية كالحريّة والعدالة والاستقلال هي البوابة التي يؤثّر فيها سعي الإنسان وطلبه للرزق.

٣

أن الحالة التي عليها يقوم الاسترزاق أو الطريق الذي يسير فيه الطالب للرزق مؤثّر عليه بطبيعة الحال، فلا يستوي الأمر بين من كان طريقه سهلاً، وبين من يتحمل المشاق مما يصعب عليه أن ينعم برخاء فكري.

٤

أن القعود على طلب الرزق والبطالة تعد من أخطر الظواهر تأثيراً على المجتمعات المعاصرة.

من شواهد محرك الاستزاق المعيشي وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

التجربة الشرعية في التاريخ الإسلامي لتأسيس
ما يصرف لمنفعة الوقف من حمل المؤونة
المالية عن المهتمين في العلم الشرعي
وتخصيص الأوقاف لكفالة طلاب العلم.

الاعتبار الشرعي لمحرك الاسترزاق المعيشي:



● حث الشريعة الإسلامية على العمل وطلب الرزق؛ فحث الشريعة على طلب الرزق هو إدراك لأهمية الموازنة الشرعية في عدم الاختلال الحاصل حال العطالة.

● التقرير الشرعي لوقائع تأثير العطالة على الأفكار والآراء.

● التحذير الشرعي المتكرر من العطالة وعدم العمل.



● النهي الشرعي عن تغليب السؤال على السعي إلى الرزق والعمل؛ إدراكًا لخطورة التسول المالي على شخصية السائل ومعتقدده.

● التقرير الشرعي لعمل الأنبياء وأصحاب الدعوات والرسالات بأيديهم.

● نهى الفقهاء عن قبول الهدية للقاضي؛ لتأثير ذلك على الرأي والحكم.

● النهي عن الرشوة ولعن الراشي والمرتشي في الشريعة الإسلامية؛ لأن مضمون الرشوة تغيير الرأي والحكم مقابل المال.

● الأوقاف الإسلامية المصروفة على العلماء وأهل الرأي؛ لرفع الكلفة عن طالب العلم الشرعي في مسألة الاسترزاق مقابل ما يقدمه وما ينشغل به من العلم والتعلم.

المحرك التاسع: الطمع والجشع المالي

المقصود من محرك الطمع والجشع المالي:

أن يكون أساس الفكرة والذي يدفع صاحبها إلى التصريح بها أو القناعة بها والإدلاء فيها هو جشعه المالي وطمعه في الاستزادة من الأموال علاوة على ما هو عليه من الرزق.



تأثير محرك الطمع والجشع المالي في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

وقائع التاريخ الإسلامي
والإنساني الشاهدة
على تأثير الطمع
والجشع في المنظومة
الإدراكية والفكرية.

في حالة تمكن الطمع
في قلب صاحبه يتغير
مناط تفكيره وفكره من
الفكرة إلى ما يطمع
إليه.

من المعلوم بالتجربة
والحكمة عند أهل العلم
والفكر أن طمع المرء
بدنيته يحرمه من سداد
رأيه وصواب فكره.

أن روح الطامع والجشع
لا تبقي فكره وذهنه
على حاله.



من شواهد محرك الطمع والجشع المالي وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

ما رصده المنقبين عن بواعث ومحركات الأفكار والآراء المبتوثة في الفضاء الفكري الإسلامي ومنهم أبو حامد الغزالي إذ يقول: "إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه...".

الاعتبار الشرعي لمحرك الطمع والجشع المالي:

الذم الشرعي لخلق الطمع والجشع، ومن ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)، والشح هو البخل مع الطمع، فإذا كان الإنسان بخيلاً منع ما يجب عليه من الحقوق، وإذا كان ذا طمع تعدى على الغير.

ا



التحذيرات الشرعية الشديدة والمتكررة من آفة الطمع والجشع، من ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها، من حرص المرء على المال، والشرف لدينه).

٢

التقرير الشرعي بواقعية مقايضة الأفكار بالمال بمدرك الطمع، فالبعض يبيع أفكاره ومعتقداته كما يبيع التاجر سلعته، قال تعالى في خطاب بني إسرائيل: {وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: ٤١).

٣

المحرك العاشر: الغلبة الحضارية



المقصود من محرك الغلبة الحضارية:
هو أن تكون الفكرة والرأي ناشئاً عن
الهزيمة الحضارية، ونتيجة صعود الغالب
السياسي في الأمم والشعوب على
المغلوب عليهم.



تأثير محرك الغلبة الخصارية في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

التقرير المعرفي من الحكماء وأهل العلم في تأثير الغلبة الخصارية على الأفكار والمعتقدات، فأى أمة لها أفكارها التي نشأت حال ضعفها وغلبة غيرها عليها، ولها أفكار حال عزتها وغلبة أمرها، وعلى الصعيد النفسي للفرد، فإن شعوره المنهزم ينشئ له أفكارًا لم تكن تنشأ لولا تلك الغلبة.

٢

الأفكار تتأثر إذا كان هناك مؤثر أقوى منها، فغلبة الخصارة والسياسة أقوى تأثيرًا في الأفكار على الصعيد العام المشترك.

٣

أفكار المنهزم وروحه أصعب من أن يتم تسويتها في النوع والتأثير والنفوذ مع أفكار الغالب المنتصر.

من شواهد محرك الغلبة الحضارية في الفكر والأفكار والمعتقدات:

الخطاب الانهزامي أمام الغرب في الفضاء الفكري العربي، فجملة من الأفكار هي نتيجة الهوان الفكري والهزلة العلمية والضعف في الهوية والانتماء مقابل شراسة الفكرة الغالبة ونمذجتها القائمة في كيانات الدول الغربية.

الاعتبار الشرعي لمحرك الغلبة الحضارية:

الهدف الشرعي المتحقق في تحكيم الشريعة الإسلامية، فقد جاءت النصوص الشرعية لتؤكد الغاية من الجهاد، والتكرار الدائم في تقرير المرام الشرعي للوصول إلى الغلبة، من خلال التحاكم إلى الأحكام الشرعية، ففي جعل هذا الهدف أولوية؛ تأكيداً على تأثيره المباشر إلى تمكين الإسلام في النفوس.

1

التغذية الشرعية للنفوس المسلمة من خلال نصوص العزة وعلو المؤمن، ولتأثير ذلك في الأفكار والآراء بات المسلم يتعاهد أخاه المسلم في عزته أمام الكافر، وكل من بخس حق الله وشرعه وأحكامه.

التقرير الشرعي لمحرك الغلبة الحضارية وتأثيره على الأفكار والمعتقدات، فقد بين الله أن من يقف مع الكافرين ويداهن معهم هو باحث عن العزة والغلبة لديهم، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُمُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (النساء: ١٣٩).

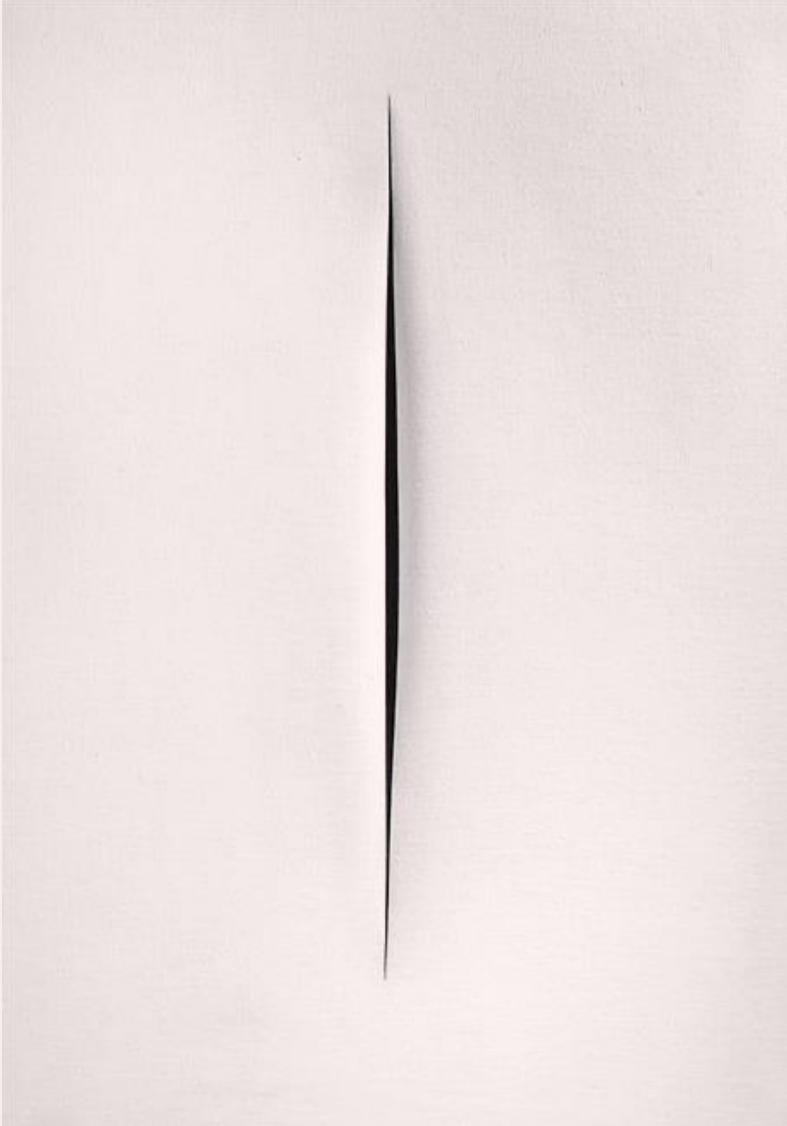
المدافعة الشرعية للهزيمة أن تغزو القلوب المؤمنة، وذلك من خلال:

- النصوص الشرعية في نصره المسلم لأخيه المسلم حال انكساره وهزيمته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة).
- التحذير الشرعي من الروح الانهزامية، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩].

الأحكام الشرعية بين حال غلبة الإسلام وخلاف ذلك، فبعض الأحكام اعتبر في إقرارها حال عدم المُكْنة الحضارية لفترة من الفترات، من ذلك أن المرأة كانت تسلم وزوجها كافر فلا يفرق بينهما، حتى بدأ التدرج بالأحكام الشرعية إلى أن استقرت.



المحرك الحادي عشر: الظلم والجور



المقصود من محرك الظلم والجور:

أن يكون المحرك الذي يقف وراء الفكرة هو الظلم الواقع على صاحبها، سواءً كان هذا الظلم متعلق بالفكرة، أو بشيء يستلزمها، أو كان بعيد الموضوعية عنها.

تأثير محرك الظلم والجور في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

١

الترسبات النفسية والمفاهيمية في ذهن المظلوم المؤثرة على أفكاره وآرائه، ويتفاوت الناس في بقاء أثر المظالم في نفوسهم بأنها تصل الأفكار وتتجاوزها أم هي دون ذلك.

٢

الظلم له تأثير بأمر أثقل من الأفكار، فتأثيره على الأفكار من باب أولى، فالظلم أحد عواقب إبادة أمم بأكملها، والأفكار جزء لا يتجزأ من اعتراء الظلم والجور عليها والتأثير بها.

٣

وقوع الظلم على الأفكار في التأثير عليها كما هو في المواطن الأخرى، فإذا حصل الظلم بين العباد في الأموال والحقوق، كان ولا بد أن يقع الظلم بينهم في الأطر الفكرية والثقافية من ناحية الاستبداد بها وقمع الرأي المظلوم.

من شواهد محرك الظلم وتأثيره على الأفكار والمعتقدات:

الفكرة الليبرالية الغربية المتمثلة في الحرية الفكرية والعقدية، والعلمانية الديمقراطية المتمثلة في النظام السياسي، أو النظريات العلمية التي زامنت تلك الحقبة أو قبلها، والتي كان محركها هو الظلم والاستبداد الكنسي والسياسي والاجتماعي في العصور الوسطى، ما قبل الثورة الفرنسية (1789م).

الاعتبار الشرعي لمحرك الظلم والجور:

١

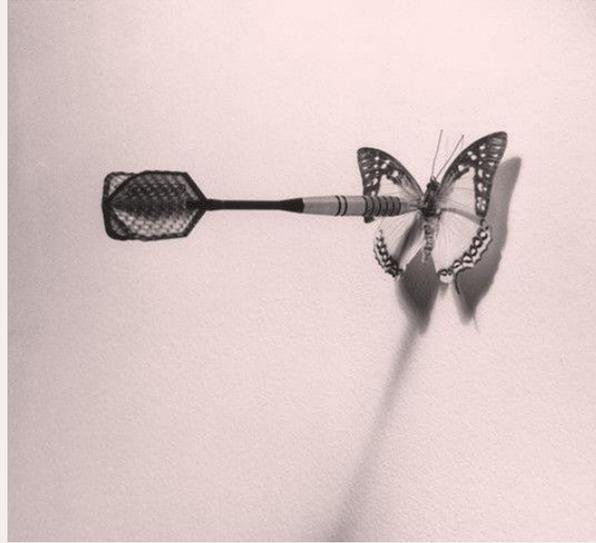
التحذير الشرعي من الظلم ومرتكبيه، فجاءت الشريعة الإسلامية مرارًا في التحذير من الظلم وما يؤول أمره إلى عاقبة لا يحمد حالها.

٢

الاعتبار الشرعي في إقامة حق القصاص للمظلوم من ظالمه، قال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصَ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المائدة: ٤٥).

٤

التقرير الشرعي للهجرة من الظلم الواقع على المسلم حفاظًا على أفكاره ودينه، فالتأكيد على الفرار بالدين من الظلم هو تأكيد على الصلة الوثيقة بين وقوع الظلم وأثره على المظلوم وأفكاره.



٣

الاعتبار الشرعي لردة فعل المظلوم ونفسيته، وما يمر به من الحنق على ظالمه وما يهـم به من الاقتصاص منه وجميع المشاعر النفسية التي يمر بها في هذه الحالة، ومن الأدلة التي جعلت للمظلوم شيئًا استثنائيًا مختلفًا عن الأحوال الأخرى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

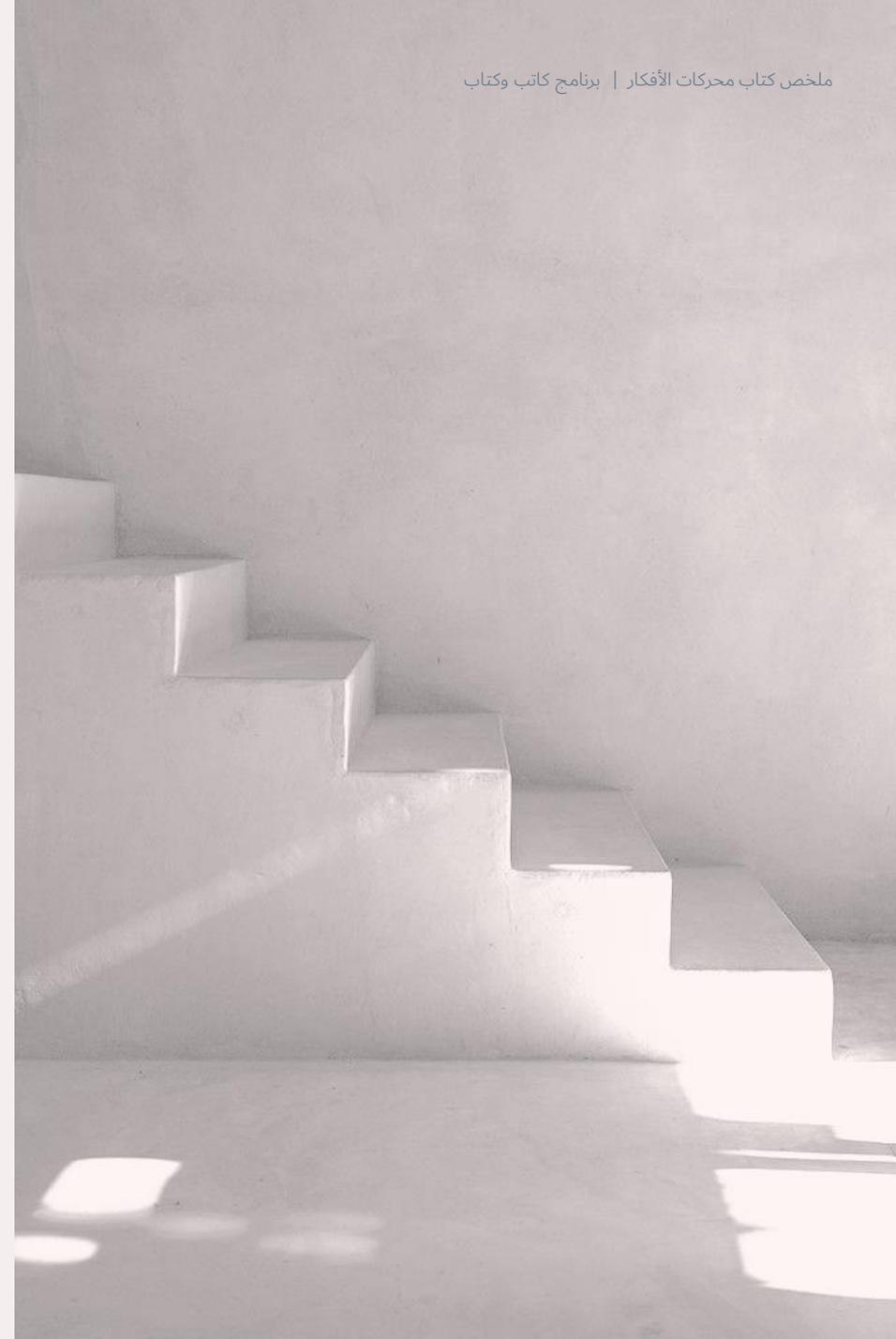
٥

التعليل الشرعي لعدم البغي على المخالف بسبب اعتبار الفكرة الناتجة عن ذلك، فبعض الآراء سببها وقوع الظلم عليها بمفهوم المظلوم، لذا نُهي عن التصريح بالرأي -وإن كان حقًا- لما ينتج عنه من الفكرة الظالمة.

المحرك الثاني عشر: التغيرات السياسية

المقصود من محرك التغييرات السياسية:

أن يكون أساس الفكرة من ناحية
نشوتها أو انتشارها هو الحكم
السياسي المؤيد للفكرة.



تأثير محرك التغييرات السياسية في الفكر والأفكار والفضاء الثقافي:

الطبيعة الإنسانية في التأثر بالسلطة الحاكمة عليه، فيصعب على الإنسان تجاهل القوانين التي يعيش في كنفها، وتتشكل أفكاره في حدودها.

أن من طبيعة الحكم والملك التأثير على أحوال الرعية واختياراتهم، فالحكم السياسي تأثيرًا يبلغ جسده وروحه وغيرها من العظام التي هي أبعد تأثرًا من الأفكار والآراء.

الوقائع التاريخية الدالة على العلاقة الوطيدة بين الحكم وطبيعته وبين أفكار الأفراد تحت هذا الحكم.

١

٢

٢

من شواهد تأثير محرك التغييرات

السياسية على الأفكار والمعتقدات:

نموذج فكرة (القول بخلق القرآن)، والتي لم تُعرف وتنشر إلا بعد تغير الحكم السياسي في تلك الحقبة الزمنية، فانقلبت من كونها فكرة إلى محنة سياسية امتحن فيها العلماء وطلبة العلم.

الاعتبار الشرعي لمحرك التغييرات السياسية:

التقرير الشرعي في تأثير الحكم والسلطان المباشر على الأفكار والآراء، روي عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: "إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن".

التقرير الشرعي في أهمية الحكم الإسلامي بتطبيق الأحكام الشرعية وهيمنتها على أحوال الناس، تأكيدًا على أثرها في تشكيل الأفكار والمعتقدات.

التعهد الشرعي للراعي والحاكم على رعيته، فهو من يتحمل وزر اعتقادات الرعية، لقوة تأثير الراعي على الأفكار والآراء، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة).

تعليق بعض الأحكام الشرعية بالحاكم الشرعي من إقرارها أو عدمها، فقد جعلت الشريعة الإسلامية مساحة من التشريعات تعود إلى الوالي، وهي تسمى في العلوم الشرعية بالأحكام السلطانية أو السياسة الشرعية.



محركات الأفكار والخطابات الحدائية المعاصرة

الفادص للفضاء الفكري يجد في مساحته جملة من القراءات للأفكار والتصورات التراثية، ومن أبرز الآثار العقدية لهذه القراءات هو استعمال الخطاب الحداثي العربي المعاصر للدوافع السياسية في المسائل العقدية، ورفع لافتة التفسير السياسي لجملة من الآراء والتصورات العقدية في التراث الإسلامي.

ويكمن هذا التجاوز الحداثي في قراءة الأفكار التراثية، أنها جعلت من الأفكار والآراء العقدية التي قررها العلماء في التراث الإسلامي أفكارًا سياسية عبر عنها العلماء بلغة دينية.

١

القفز من السبب إلى المنطق الدائم والأصل المطرد، فالقراءة الحداثية جعلت من المحرك السياسي أصلًا، فالأفكار تنطلق من المحرك السياسي حتى يثبت خلوها منه، بخلاف من يقرر أن التاريخ الإسلامي لا يخلو من المحرك السياسي، لكنه متعلق بظرف زمني، أو مسألة علمية، فيكون في دائرته المعتبرة.

٢

تحويل الأداة القرائية إلى أداة فكرية حداثية، فقراءة الأفكار والبحث في جذورها يوجب كونها أداة قائمة بذاتها، أي تشمل الدوافع المتعددة التي تتجاوز الدوافع السياسية إلى غيرها، غير أن القراءة الحداثية جعلت من هذه الأداة أيقونة أيديولوجية للخطاب الحداثي يُباهى بها أمام الخطابات الأخرى.

الخلل في الاستعمال الحداثي

لمحركات الأفكار والدوافع:

القراءة الحداثية للتراث وقعت بالحيث في استعمال أداة الدوافع السياسية للآراء العقديّة من جوانب متعددة، أبرزها ما يلي:



اعتبار المحركات في القراءة الفكرية



الاعتبار المنهجي لمحركات الأفكار هو أحد التجليات المنهجية في بلورة التصورات عن الآراء والأفكار، والتفسيرات المقابلة من جهة، ومن جهة أخرى الآثار المنهجية المتعلقة في التعامل مع الفكرة التي تم اكتشاف محركها وسببها، ومدى تعاطي السلوك المنهجي تجاه هذه الفكرة.

وابن تيمية هو نموذج للمنهجية العلمية التي جعلت من المحركات للأفكار منزلتها الصحيحة المعتبرة، ومن ثم جعلت الأثر المنهجي الآخر حاضرًا في الأخذ بنتيجة هذا البحث في محرك الفكرة إلى الحكم المترتب على ذلك والسلوك المطلوب مع هذه الفكرة.

الخطابات المعاصرة واعتبار المحركات في القراءة الفكرية:

هناك من رفع منزلة محركات الأفكار فوق منزلتها،
ومنهم من أهملها، وفيما يلي تبيان الموقف المنهجي
للمدارس التراثية والاتجاهات الفكرية المعاصرة تجاه
دوافع الأفكار:



الاتجاه الأول: الغلو المنهجي في اعتبار دوافع الأفكار، وذلك من وجهات متعددة:

١

أن يجعل أهل الغلو من المحركات أحادية في قراءة الأفكار والآراء، فلا يكون المحرك مؤثراً على الفكرة أو أحد الدوافع التي أفرزتها، بل يفردون الهدف من طرح هذه الفكرة للمحرك الوحيد المُستنبط.

٢

أن يجعل أهل الغلو من المحركات أولوية في التأويل والتفسير العلمي للمسائل والأفكار، فأول ما يتبادر إليه ليس المسألة ذاتها بقدر ما هو المحرك الكامن خلفها، فيظهر على إثر ذلك ليّ أعناق الأفكار إلى المحركات والدوافع.

٣

أن يجعل أهل الغلو المحركات أداة تباهي منهجي، ولافتة إبطال للأفكار المضادة والمخالفة.

الاتجاه الثاني: الإهمال المنهجي في اعتبار محركات الأفكار: وهو الاتجاه الذي أنزل محركات الأفكار منزلة أقل من منزلتها الاعتبارية الصحيحة، وذلك من حيثيات متعددة منها:

٢

التهكم المنهجي في البحث عن
المسببات والمؤثرات على الأفكار
والدوافع والآراء، ورمي من بحث
فيها، وأنه ليس على الطريقة
الصحيحة في المنهجية التراثية.

١

التقليل من أهمية البحث في محركات
الأفكار، وعدم اعتبارها في عملية
فحص الأفكار ومناقشتها والرد عليها،
وينتج عن هذا الغياب المفاهيمي
الخطأ في السياقات للأطروحات
الفكرية، والخطأ في الحكم النهائي
على الأفكار والمعتقدات.

الاتجاه الثالث: الاعتدال المنهجي في اعتبار محركات الأفكار: وهو الاتجاه الذي أنزل دوافع الأفكار منزلتها الاعتبارية الصحيحة، وذلك من وجهات متعددة منها:

١

اعتبار البحث في محركات الأفكار،
وعدم إهمالها في عملية فحص
الأفكار، ومناقشتها والرد عليها.

٢

الأصل الموضوعي والعلمي في قراءة
الأفكار ما لم يظهر محرك يقلل من
الجانب الموضوعي للفكرة، فالأصل
في الأفكار واقعها العلمي
والموضوعي، وذلك يؤكد قابلية طرح
الفكرة بخلوها من الدوافع الخارجية، ولا
يشترط التعسف في إيجاد الصلة بين
المحرك والفكرة.

٣

الاستمداد المنهجي القائم على
الكتاب والسنة لهذا الاتجاه، وهذا
الاستمداد هو الذي يحدد الأدائي
للبحث في الدوافع، حتى لا يقع
الحيث في القصد والغايات، وكذلك
يحدد النوع الموضوعي لحقيقة
المحرك المؤثر في الفكرة، وغيره من
الجوانب المثمرة للاستمداد المنهجي.